معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس جوامع الأخبار

شرح الشيخ محمود الراعوش حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (33)

التاريخ: الاثنين 09/جمادى الآخرة/1441 هـ

03/فبراير(شباط)/2020 م

شرحُ الأحاديث: (٨٣، ٨٤)

- ◊ ملخص الدرس:

✿ الحديثُ (٨٣): عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» متفق عليه.

◆قوله «أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ» أي يوسع له في رزقه.

قوله "وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ" أي يؤخر له في أجله.

قوله «فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» أي أن يحسِن لذوي الأرحام، وألا يقاطعهم وألا يظلمهم.

والأرحام هم الأقارب في النسب من جهة الوالدين ذكورا وإناثا.

◆هذا الحديث فيه حث على صلَة الأرحام؛ وأنها سبب شرعي لِسَعَة الرزق وطولِ العمر حقيقة على الراجح، هذا فضْلا عن الثوابِ العاجلِ في الآخرة.

◆فزيادة الرزق والعمر حقيقية: لأن هذا من القدرِ المعلَّق على أسبابه، وكل من الأسباب والمسبَّبات من قدر الله. كتعليق الشَّبعِ على الأكل، والرِّيِّ على الشّرب، والولد على الزَّواج، ورفع البلاء على الدّعاء... وهكذا علَّق زيادة الرزق والعمر على صلة الأرحام. وهذا القدر المعلَّق هو المكتوب في صحف الملائكة، وأما المكتوب في اللوح المحفوظ فلا يتغير، قال تعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد٣٩].

◆الأصل أن صلَة الأرحام واجبة بالإجماع، لقوله عليه السلام: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ» متفق عليه ولغيره من الأدلة. أما قوله "من أحبَّ" فهذا ندب إلى الصلة المستحبَّة.

◆لأن الصلة منها واجبة ومنها مستحبَّة، والضَّابط العرف: فيختلف الحكم بحسب الزمان وحال الواصل وحال الموصول. فما يكون واجبا على زيد قد يكون مستحبا لعمرو.

◆في صلة الأرحام ثوابان: ثواب عاجل وثواب آجل، ويجب تصويب النية وتقديم نية الآخرة، أي ينوي بصلة الرحم وجهَ الله والدارَ الآخرة، ويؤخر الثوابَ العاجلَ وهو زيادة

الرزق والعمر، بل يأتيه الثواب العاجل بغير نية، أما ثواب الآخرة فلا يصح إلا بنية صادقة خالصة لله.

◆لا يَحل الاختلاط بالنساء غير المحارم، والتبرج والسفور بحجة صلة الأرحام.

◆دلَّ الحديث على فضْل الله العظيم بأنه يجازي على الإحسان بالإحسان، فيجزي على الحسنة خيرا منها، فيعجل ثوابَ الصلة في الدنيا مضاعفا، فضْلا عن ثواب الآخرة مضاعفا أيضا.

◆ومن عدْله سبحانه أنه يعجِّل عقوبة القاطع في الدنيا مع ما يَدَّخِرُ له في الآخرة، ولا يَظلم ربك أحدا، قال عليه السلام: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» أبو داود (٤٩٠٢) والترمذي (٢٥١١) وصححه.

وأما عقوبة الآخرة فالنار... نعوذ بالله منها، لقوله «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ» فاتقوا الله في أقاربكم.

✿ الحديثُ (٨٤): عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» متفق عليه.

◆هذا الحديثُ في فضْل المحبة في الله؛ وذلك لقوله عليه السلام: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» أي يجمعُ الله بفضْله المتحابّين فيه في الجنة، يرفعُ الأدنى منزلة إلى الأعلى منزلة، ولو لم يعمل مثل عمله، بشرط أن يُشاركهُ في الإيمان وأن يدخُل الجنة، فلا يشملُ هذا الفضلُ من لم يدخلِ الجنة.

◆دل على هذا المعنى فهمُ الصحابة للحديث وهي رواية البخاري (٣٦٨٨) للحديث عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا». قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ

أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: «فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ».

دل قول أنس (فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ) أنه فهْمُ جميع الصحابة.

- فيشترطُ لتحصيل هذا الفضل شرطان:

الأول: أن تكون المحبَّةُ في الله: فليس المراد المحبَّة الجبليَّة، ولا المحبَّة لمصلحة دنيويَّة.

الثاني: أن يشاركه في أصل العمل ويدخل الجنة.

- فيه التحذيرُ من معاداة الصالحين،

وفيه التحريضُ على محبَّتهم في الله.

الدرس الثالث والثلاثون من شرح "جوامع الأخبار"

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد..

فهذا هو **الدرس الثالث والثلاثون** من دروس شرح "**جوامع الأخبار**"، وفيه شرح الحديثين (٨٣، ٨٤)..

﴿شرح الحديث الثالث والثمانين﴾

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» متفق عليه[1]

حديث هذا الدرس مناسب لحديث الدرس السابق والذي هو "**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**"، فالسابق عن الرحمة، وحديث اليوم صورة من صور الرحمة؛ وهي صلة الأرحام.

هذا الحديث فيه حثٌّ على صلة الأرحام وبيان فضلها العاجل؛ فإنَّ صلة الأرحام سبب شرعي لتحصيل الثواب العاجل في هذه الدنيا؛ وذلك أنه سبب لسعة الرزق وطول العمر، هذا فضلاً عن الثواب الآجل في الآخرة.

- فقال ﷺ: "**من أحَبَّ**":

اعلم أن صلة الأرحام واجبة بالإجماع،

وقوله: "**مَنْ أحَبَّ**" نَدَبَ إلى التّوَسُّع في الصلة المُستحَبّة بعد إكمال القدر الواجب، وليس المراد أن صلة الأرحام غير واجبة. وسنشرح هذه المسألة في مسألة مستقلة إن شاء الله.

1- أخرجه البخاري (٢٠٦٧، ٥٩٨٦) ومسلم (٢٥٥٧) واللفظ له، وفي الباب أحاديث أخرى، منها حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٦١٣٨)، وحديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري أيضاً (٥٩٨٥)، و أيضاً ورد في تحريم قطيعة الأرحام أحاديث أخرى كثيرة بمعانٍ أخرى.

◆ قوله: "أن يُبسطَ له في رزقه":

أي أن يُوسعَ له في رزقه.

◆ قوله: "وَيُنْسَأَ له في أثره":

قوله: "يُنْسَأَ" من (النّسْءِ) وهو التأخير.

وقوله: "في أثره" أي في أجَله، وسُمِّي الأَجَل أثراً لأنه يتبع العمر[1].

فالمعنى: ويُؤخَّر له في أجله، أي يطول عمره أو يبارك له فيه.

◆ قوله: "فلْيَصِلْ":

الصلة واجبة بالإجماع[2] كما قلنا، ودل على وجوبها أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: "لا يدخل الجنة قاطع"[3]، والأدلة متعددة في وجوب صلة الأرحام وتحريم القطيعة.

وما زاد عن القدر الواجب مُستحَبّ، فقوله "فلْيصِلْ" ندب إلى التوسع في الصلة المستحَبّة، لأن الوجوب هنا مصروف إلى الندب بقوله: "من أحب"؛ أي في الصلة المستحَبّة، وسيأتي الفارق بين الصلة الواجبة والمستحَبّة إن شاء الله.

وقوله: "فلْيَصِلْ": من الصِّلة، وهي في اللغة ضد القطيعة وضد الهجران. وفي الشرع: هي ألاّ يقطعَ ذوي الأرحام، وأن يُحْسنَ إليهم وألاّ يؤذيَهم.

◆ قوله: "رَحِمَه": أي ذوي الأرحام، وهم الأقارب من جهة الوالدين ذكوراً وإناثاً.

وسُمُّوا "**ذوي الأرحام**" لأنهم اشترَكوا في رحم الأم أو الجدّة إلى رابع جدّة.

وأولى الناس بالصلة الأم ثم الأب ثم الأقرب فالأقرب، من الذكور والإناث.

1- انظر "إكمال المعلم" (٨/ ٢١)، و انظر "مرقاة المصابيح" (٧/ ٢٠٨٤ الحديث ٤١٩٨).

2- انظر "مجموع الفتاوى" لابن تيمية (٢٩/ ١٨٦).

3- البخاري (٥٩٨٤) ومسلم (٢٥٥٦).

وقد شاع اليوم أنّ الأرحام هم الإناث فقط! وهذا خطأ، بل الأرحام تشمل الذكور والإناث فيجب على المرأة أن تصل أرحامَها الرجال، أمّا الأصهار فليسوا من الأرحام.

واعتبر بعضُ العلماء كل مَن يَرِثُ أو يُورَثُ من الأرحام، وفي هذا خلاف، ودليلُهم قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾[1].

وعلى هذا القول تتَّسع دائرة الأرحام.

[مسألة]

ما هو الضابطُ في صلة الأرحام؟

وبعبارة أوضح: كيف نميّز بين الصلة الواجبة والصلة المُستَحَبّة؟ ومتى يكون الإنسان قاطع رحم؟

الجواب:

الضابطُ هو العُرْفُ، لأن الشرع أطلق الصِّلة ولم يذكر إلا السلام، فأقلُّ الصِّلة بَذْل السلام؛ أي إذا لقيتَه أنْ تُسَلِّم عليه، فإن عدم السلام هجران وهو قطيعة بلا شك، فإن السلام واجب بين جميع المسلمين، إلا ما استُثني في الهجر الوقائي والهجر التأديبي، وتقدم تفصيل هذا في دروس مضت، ولكنْ صلة الأقارب واجبة فيما هو أكثر من السلام، ويُعرَف ذلك بالعُرف، أي "بما تعارف الناس عليه ولم يخالف الشرع"، فتختلف الصلة من زمان إلى زمان، ومن بلد إلى بلد وبحسب أحوال الناس، ثم ما زاد عن الحد الواجب فهو صِلَةٌ مُستَحَبَّة.

أمّا قول النبي ﷺ في الحديث "مَن أحَبَّ" فقد نَدَبَ إلى التَّوسُّع في الصلة المُستَحَبَّة بعد إكمال الواجبة، ثم جعل الثوابَ مُتفاوِتاً يزداد بحَسَب زيادة الإحسان إلى الأرحام.

وبناءً على هذا نعلم أن حُكم الصِّلة يختلف من زمان لزمان، ومن شخص لشخص، ومن حال لحال، فما يكون مُستحَبّاً لفُلان، قد يكون واجباً على فلان، فمثلاً الصِّلة في حقّ القوي والغني وصاحب الجاه والسلطان، تختلف عن الصِّلة في حق الضعيف والفقير وقليل الجاه

1- [البقرة: ٢٣٣]

والسلطان! ما يجب على هذا لا يجب على هذا! وتختلف أيضاً بحسب حال الموصول؛ بحسب فقره وغناه، وهل هو مضطرٌّ إلى شيءٍ أو غير مضطرّ.. وهكذا[1].

فالقَدْر الواجب من الصِّلة يُعرَف بهذه القرائن، ثم تُستَحَبُّ الصِّلة فيما فوق الحد الواجب؛ كالزيارة والتَّعاهُد، أي بالتَّفَقُّد والسؤال عن الأقارب وعن أحوالهم من حين لآخر، وبالهدية والاتصال وغير ذلك.

ومَن قصَّر في الصِّلة الواجبة فهو قاطع بحسب تقصيره، ومَن ظلَم أرحامَه، أو آذاهم وعاداهم لغير سببٍ شرعي فهو قاطع أيضا، ومن اغتصب حقوق أقاربه فهو قاطع رحم أيضا، ولكن مَن قَصَّر في الصلة المُستَحَبَّة فلا إثم عليه، وليس بقاطع.

وكلما زاد الإحسان إلى الأرحام زاد الثواب المذكور في حديث الترجمة وهو: سعة الرزق وطول العمر.

[مسألة]

ما المقصود بزيادة الرزق وطول العمر في الحديث؟

الجواب:

للعلماء فيها أقوال، أشهرها قولان:

- قيل المقصود البركة،
- وقيل هي زيادة حقيقية في الرزق والعمر، وهذا هو الراجح والله أعلم، لأنه ظاهر الحديث، ولأن الله هو خالق المَسبَّبات وأسبابِها، فهذا مِن ربْط المَسبَّبات بأسبابِها، كما يرتبط الشِّبَعُ بالأكل، والرِّيُّ بالشرب، والولد بالزواج، ورفْعُ البلاء بالدعاء... وهكذا هنا؛ رُبِطَتْ زيادة الرزق والعمر بصِلة الأرحام بسبب شرعي، وهذا ما يُسمّيه العلماء (القَدَر المُعَلَّق)، فإنّ القدَر نوعان: مُبرَمٌ ومُعَلَّق.

1- انظر "مجموع الفتاوى" لابن تيمية (٢٩/ ١٨٦)، و"فيض القدير" للشوكاني (٦/ ٤٤٨)، و"فتاوى نورعلى الدرب" للعثيمين (٢٤/ ٢)، و"لقاء الباب المفتوح" للعثيمين (٧٣/ ٣٨) (٨٧/ ١٣) (١٦٦/ ٧).

القَدَر المُبرَم: ليس معلقا على سبب، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، هذا لا يتغير أبدا.

والمُعَلَّق على سبب: هو المكتوب في صحف الملائكة، وهذا يتغير لأسباب، فمن وصل رحمه يكتب له عمر أطول ورزق أكثر.

قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1].

أمّا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2]

ظاهِر هذه الآية يتعارض مع القول الراجح المتقدم؛ ولكن قال العلماء في هذه الآية: ظاهرها عند حُلول الأجل، أي إذا حَلَّ الأجل فلا يستأخِرون ولا يستقدمون، هذا كقوله تعالى:﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾[4].

وانتصر لهذا القول الشوكاني في رسالة له سماها: "**تنبيه الأفاضل على ما ورَد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل**"[5]

[مسألة]

في وجوب تصويب النية عند صلة الأرحام.

تصويب النية يعني إخلاصها لله، وذلك بتقديم نية الآخرة على نية الدنيا الواردة في الحديث.

ذكرْتُ هذه المسألة لأنه ذُكِر في الحديث نية عاجلة وهي زيادة الرزق، وطول العمر، هذه نية دنيوية عاجلة. فيجب على من يصِل رحمه أن يقدم نية الآخرة بأن ينوي وجه الله والدار الاخرة، وأن يؤخر النية الدنيوية وهي زيادة الرزق والعمر.

وذلكم؛ أنّ الأسباب نوعان؛ كونية وشرعية:

1- [الرعد٣٩]

2- [الأعراف٣٤] [النحل٦١]

3- [نوح: ٤]

4- [المنافقون: ١١]

5- تجدُها في "الفتح الربّاني من فتاوى الإمام الشوكاني" (١١/ ٥٣١٣). ونقل هذه الرسالة الشيخ محمد علي آدم الإتيوبي في كتابه: "البحر الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج" (٤٠/ ٣٠٩). وانظر "التحبير لإيضاح التيسير" للشوكاني (٦/ ٤٣٨)، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٠/ ٤١٦).

- **الأسباب الكونية القدرية: أن تُعلَّق أعمال الدنيا على عمل الدنيا.**

أي يجوز أن تُطلب الدنيا بعمل الدنيا؛ كأنْ تطلب الريّ بالشُرب، والرزق بالكسب، والتداوي بالدواء، والذرية بالزواج... هذا لا حرج فيه، بل هو مطلوب شرعا.

- **والأسباب الشرعية: أنْ تُعلَّق الدنيا على عمل الآخرة.**

أي أن تُطلب الدنيا بعمل الآخرة، وهذا الأصلُ فيه التحريم، لأن الواجب أن تنوي الآخرة بعمل الآخرة؛ يعني أنْ تطلب الثواب من الله بصلاتك، وصيامك وغير ذلك، أنْ تطلب الآخرة بعمل الآخرة، هذا هو الأصل.

أمّا أنْ تطلب الدنيا بعمل الآخرة، فهذا الأصل فيه التحريم إلا ما استُثني.

فلا يجوز طلب الدنيا بعمل الآخرة، وهو ما يسمى عند العلماء بشرك الإرادة.

مثاله حديث "**إنما الأعمال بالنيات**" الذي تكلمنا عنه في أول حديث في هذا الكتاب المبارَك، وجاء فيه أن يهاجر الرجل الهجرة الشرعية لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها! هذا طلبَ الدنيا بعمل الآخرة فعمله باطل.

ومثاله أيضاً ما يحدث في زماننا؛ من يصوم لتخفيف وزنه، أو يصلي ليحافظ على لياقة بدنه، أو يجاهد الجهاد الشرعي يريد الذكر الحسن.. هذا كله مُحَرّم ويحبط العمل لأنه من شرك الإرادة؛ أي أراد الدنيا بعمل الآخرة.

ولكن يُستثنى من شرك الإرادة ما دلّ الدليل على جوازه؛ مثل: المُوالاة بين الحج والعمرة لنفي الفقر، ومثل: صلة الأرحام لزيادة الرزق والعمر، فهذا جائز لثبوت الدليل عليه، ولكن هذا لا يغيّر من النية شيئاً، يجب أن تبقى النية وجه الله.

وذلك أنّ هذه المقاصد الدنيوية لا تحتاج إلى نية أصلا، أي تحصل لك زيادة الرزق والعمر حتى ولو لم تقصدها، فإن قصدْتَها ووقعَتْ في قلبك فيجب أنْ تؤخرها وتُقَدِّم نيّة الآخرة وإلا فسد العمل.

فالخلاصة أنه يجوز أن تنوي الدنيا بعمل الآخرة بشرطين:

١- إذا دل عليها دليل شرعي صحيح.

٢- وأن تقدم نيّة الآخرة.

[تنبيه]

وها هنا تنبيه في مسألة صلة الأرحام، وهو أنه لا يجوز التعاون على المنكرات بحجة صلة الأرحام، فلا يجوز السكوت على المنكرات مع القدرة على إنكارها ورُجْحان المصلحة.

فإنٍ كثيراً من المسلمين اليوم يجلسون جلسات مختلطة، وتظهر فيها النساء من غير المحارم متبرجات، بل كاسيات عاريات بحجة صلة الأرحام، وينتج عن ذلك مفاسد كبيرة، فالواجب أنْ يعتزل المسلم هذه المجالس، وأنْ تكون صلة الأرحام بلا منكرات ولا مُحرَّمات، وإلا انقلبَت من قُربة إلى معصية.

وفي الحديث فائدة وهي أنّ الجزاء من جنس العمل، فلمّا وصَل المسلمُ ما أمَر الله به أن يوصل، فإنّ الله وصَلَه بِبِرّه وبرحمته وإحسانه، وعجَّل له شيئا من هذا الإحسان في الدنيا بزيادة رزقه وعمره، فضلاً عن ثواب الآخرة.

وهذا فيه تشجيع على إنفاق المال لصلة الأرحام، فإنّ المال يزيد بالصِّلة ولا ينقص، بل يزداد الواصل غنى، كما دل عليه هذا الحديث ولعموم قوله ﷺ: "ما نقص مال من صدقة".

فإذا تصَدَّق المرء على ذي رحم فهي صدقة وصِلة فيحوز الفضيلتين معاً. فإنّ صلة الأرحام ثوابها عظيم، يحبها الله عز وجل، لأنها من الإحسان إلى عباد الله، ولأنها من مكارم الأخلاق، وهذان بابان عظيمان يحبهما الله ويثيب عليهما الثواب الجزيل، وتقدم شرح أهمية حُسن الخلق في الإسلام، وأهمية الإحسان إلى الخَلق.

وفي المُقابل: فإن الله يُبغِض القاطع، ويُبغِض قطيعة الأرحام، وهي من كبائر الذنوب، وتُعَجَّل العقوبة للقاطع في الدنيا، مع بقاء عقوبة الاخرة، قال ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ؛ مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»[1]

1- الترمذي وصححه (٢٥١١)، و أبو داود (٤٩٠٢)، و ابن ماجة (٤٢١١)، و ابن حبان (٤٥٥)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٩١٨).

والبغي ظلم، وقطيعة الرحم في الحقيقة نوع من أنواع الظلم، فهذا من عطف الخاص على العام لتوكيده وبيان خطره.

﴿شرح الحديث الرابع والثمانين﴾

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المَرءُ معَ مَن أحبَّ" متفق عليه.

وتمام لفظه: عن أبي موسى قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[1]

هذا الحديث في فضل المحبة في الله، فقال ﷺ:"المرء مع من أَحَبَّ"، أي يُحشَر المرء يوم القيامة مع الذي أحَبَّه في الله، فالمراد المَحبَّةُ في الله، وليس المراد المَحَبَّة الطبيعية الجِبِلِّية.

لأن المَحبَّة في الله مَحبَّة تعبُّدية، فمَن أحَبَّ مسلماً في الله فهذه عبادة عظيمة، لأنه لم يحبه إلا لأنه أطاع الله، ولذلك يُثابُ المسلم على المحبة في الله بأنواع الثواب، من ذلك ما ذُكِرَ في هذا الحديث؛ وهو: أنّه يُحشَر يوم القيامة مع مَن أحبَّه في الله فيكون معه في الجنة وإنْ قَصَّرَ عملُه عن عمل مَن يُحب، بشرط أن يشاركه في أصل العمل؛ أي بشرط أن يدخل الجنة، فيرفعه الله عز وجل إلى منزلة مَن أحَبّ، أمّا الذي لا يدخل الجنة فلا ينتفع من هذه الفضيلة بشيء. هذا معنى الحديث بالجملة، وإليك مزيد بيان.

اعلموا - يرحمكم الله - أنّ أصل المسألة راجِعٌ إلى أنّ العبادة قائمة على الخوف والمحبة والرجاء، يجب أن يجتمع في قلب العبد خوفُ الله ورجاؤه[2]

أي أن يعبد الله خوفاً من عذابه؛ حتى لا يأمَن مكر الله، فيقع في المعاصي ويستخِفّ بها. وأن يعبده وهو يرجو عفوه ومغفرته حتى لا يقنط من رحمته فينقطع عن عمل الصالحات.

فالخوف يمنع من المعاصي، والرجاء يدفع إلى الطاعات... هذه ثمرة الخوف والرجاء.

1- أخرجه البخاري (٦١٧٠) ومسلم (٢٦٤١) من حديث أبي موسى الأشعري. وأخرجاه من حديث عبد الله بن مسعود: البخاري (٦١٦٨، ٦١٦٩) ومسلم (٢٦٤٠). وأخرجاه من حديث أنس بن مالك: البخاري (٣٦٨٨، ٦١٦٧، ٦١٧١، ٧١٥٣) ومسلم (٢٦٣٩).

2- انظر "القول المفيد" للعثيمين (٢/ ٦٦)، "إعانة المستفيد" للفوزان (١٠/ ٦٤٦).

ومحَبَّة الله من الرجاء، والمَحبَّة من أعمال القلوب، وهي نوعان:

جِبِلّية وتعبُّدية:

¤ **المَحبّة الجِبِلّية**: كمَحبَّة الوالدين والأولاد والزوجات والأموال، والشهوات المباحة... وغير ذلك.

ويُشترَط في المحبة الجِبِلّية: ألاّ تُقدَّم على مَحبَّة الله ورسوله، وألاّ تكون في مُحَرَّم، حينئذ يجوز صرْفُها لغير الله.

¤ **أمّا المَحبَّة التَّعبُّدية**: فهي "**المَحبَّة المُقترِنة بكمال الذلّ للمحبوب**"، وهذه لا يجوز صرفها لغير الله لأنها عبادة، لأن أصل العبادة: "كمال المَحبَّة مع كمال الذُّل".

وقد يجتمع في القلب محبة جبلية مع بغض شرعي، كالولد الكافر والزوجة الكتابية.

إذن فالمَحبَّة التَّعبُّدية أو المحبة الشرعية هي: "**مَحبَّة الله والمَحبَّة في الله**"، فيدخل في ذلك محبة كل ما يحبه الله من الأعيان والأشياء والأفعال والأقوال.

ومن لوازم هذه المَحبَّة وعلاماتها: تقديم ما يحبه الله على سائر المحاب عند التعارُض.

وعليه فتقديم العبد مَحبَّة شيءٍ على ما يُحبُّه الله شرك أصغر في المَحبَّة.

أمّا الشرك الأكبر في المَحبَّة المُخرِج من المِلَّة فهو: "**أنْ تتَّخِذ نِدّاً لله في المَحبَّة**" تحبه كما تحب الله أو أشد.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[1].

ثم يجب ان نعلم أن "المَحبَّة في الله" تابعة "لمَحبَّة الله"، أي لا يجوز أن تكون المَحبَّة في الله مساويةً لمَحبَّة الله، فضلاً عن أن تفوقها.

فالواجب على العبد أن يُفرِد الله في المحبة، هذا هو الإخلاص في محبة الله، وكلَّما أخلص العبد محَبتَّه لله، كلما قويت عنده مَحبَّةُ الله والمحبةُ في الله.

1- [البقرة: ١٦٥]

إذن فالأصلُ محبةُ الله، أما المَحبَّة في الله ففرْعٌ عنها، أي تابعة لها وليست مساوية لها ولا فوقها، وهذا هو موضوع هذا الحديث.

ويدخل في المَحبَّة في الله محبَّة الرسول ﷺ والمؤمنين، هذا من لوازم المحبة الشرعية كما تقدم.
وأنْ تحب عبداً في الله هذه قُربَةٌ عظيمة إلى الله! لماذا؟
لأنك ما أحببته:
- إلا لأنه يحب الله ويُطيعُه ويتولاه ويُعادي مَن عاداه، لذلك قال النبي عليه السلام: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ» متفق عليه، ويَدخل المهاجرون في الحديث من باب أولى، لأن المهاجرين أفضل من الأنصار كما بيّنّا في دروس مضت.
- ولأنه لو عصى اللهَ لأبغَضْتَه في الله، فالحب في الله والبُغض في الله متقابلان، بما أنك أحببته لأنه أطاع الله فيلزم أن تُبغضه إذا عصى الله؛ لا لأنه آذاك أو ظلمك، إنما لأنه عصى الله، بل قد يكون مُحسناً إليك فتحبه محبة جبلية، لكنك تُبغضه في الله لأنه عاصٍ لله، هذا ما يسمى الولاء والبراء في الله، وهو أصلٌ عظيم من أصول الإسلام، وهو فارق من أعظم الفوارق بين المؤمن الصادق؛ والدَّعِيّ المنافق..

والمَحبَّة في الله علامة على قوة الإيمان وقوة الإخلاص، فتُحب المرء لأنه يحب الله ويُطيعُه ويتولاه، لا لشيءٍ آخر من المصالح الدنيوية؛ لا لماله، ولا لجماله، ولا لجاهه، ولا لسلطانه، ولا رغبةً فيما عنده، ولا رهبةً منه، إنما تحبه لأجل الله، تَقرُّباً إلى الله، ولأنه وليُّ الله، بهذا يذوق المرء حلاوة الإيمان في هذه الدنيا، قال ﷺ: "ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ"[1]

1- متفق عليه من حديث أنس بن مالك: البخاري (١٦، ٢١، ٦٩٥٢) ومسلم (٤٣).

هذا النوع من المَحبَّة يدوم ولا ينقطع في الآخرة، بل يُحشَرُ المرءُ مع من أحب في الآخرة، وهذا مِن إكرام الله عز وجل للمُتحابّين فيه؛ فيجمعهم مع بعضهم ولا يُفَرِّقُ بينهم.

أمّا المَحبَّةُ لأجل الدنيا فإنها تتلاشى، قد تتلاشى في الدنيا، ولو استمرت مودتهم بينهم في الدنيا فإنها تتلاشى في الآخرة وتنقطع، وتنقلب إلى عداوة، كما قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[1]، قال البغوي: (إلا المتحابين في الله – عز وجل – على طاعة الله – عز وجل) انتهى من "**تفسير البغوي**".

أما المتحابّون في الله فلا تنقطع محبتهم، بل يأكلون ثمرتها الطيبة في الآخرة. وأعلى أنواع المَحبَّة في الله هي مَحبَّة محمد ﷺ، إن محبة الرسول ﷺ هي أعلى أنواع المَحابّ في الله، وهذه لها شروطها، فلا تكون محبة الرسول عليه الصلاة والسلام بمجرد الدعوى، بل تستلزم اتِّباعه وطاعته وتوقيره؛ أي باتِّباع سنته وبطاعته فيما أمَر، والانتهاء عمّا نهى عنه وزجَر، وتقديم قوله ﷺ على كل قول؛ على قول شيخك، وقول من تحب وقول كل إنسان، فإن اتباع الرسول ومحبته من أسباب محبة الله للعبد. (*)

(*) كما في آية آل عمران فقد أمر الله نبيه أن يقول: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[2] أي إن تتبعوا سنتي وتطيعوني يحبكم الله.

ثم بعد محبة الرسول ﷺ؛ تأتي مَحبَّة سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المُستَلزِمة للإيمان بهم وتوقيرهم، والإيمان بكل ما جاؤوا به على وجه الإجمال، وألا نُفَرِّق بين أحد منهم في الإيمان.

ثم مَحبَّة سائر المؤمنين من الصِّدّيقين والشهداء والصالحين، وعلى رأسهم أصحاب محمد ﷺ، الصحابة رضي الله عنهم نحبهم أكثر من غيرهم بعد الأنبياء والرسل لمقام الصحبة الذي أكرمهم الله به.

يجب على المسلم أن يحب هؤلاء جميعاً في الله، ولا نحبهم مع الله، ولا نحبهم كمحبة الله، ولا أكثر من محبة الله، لأن محبتهم تابعة لمحبة الله.

1- [الزخرف:٦٧]

2- [آل عمران:٣١]

فإننا نحب الأنبياء والصالحين لأنهم أحبوا الله، وهذه المحبة عملٌ صالح عظيم له فضائل عظيمة.

فما هي فضائل المحبة في الله؟

الجواب:

١- الفضيلة الأولى: أنّ المحبة في الله والبغض في الله من أوثق عُرى الإيمان؛ أي من أقوى روابط الإيمان الدالّة عل قوة الإيمان؛ وضعفُها دليل على ضعف الإيمان.

قال النبي ﷺ: "أوثقُ عري الإيمان الموالاةُ في الله والمعاداةُ في الله والحبُّ في الله والبغضُ في الله"[1]

٢- الفضيلة الثانية:

أنّ المُتحابّين في الله يُظِلُّهم الله في ظِلِّهِ يوم القيامة، قال ﷺ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ "[2]

والشاهد قوله: "وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ".

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»[3]

1- أخرجه الطبراني (١١٥٣٧) في المعجم الكبير بإسناد ضعيف، وحسنه الألباني بشواهده في الصحيحة: (٩٩٨، ١٧٢٨). وانظر: مسند أحمد (٢١٣٠٣، ١٨٥٢٤)، وسنن أبي داود (٤٥٩٩)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٠٤٤٣) (٣٤٣٣٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٢١٠٦٩).

2- متفق عليه، البخاري (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦) ومسلم (١٠٣١).

3- مسلم (٢٥٦٦).

٣- الفضيلة الثالثة: أنّ المُتحابّين في الله على منابر من نور يوم القيامة، قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ "[1].

٤- الفضيلة الرابعة: أن الله يحبّ المُتحابّين فيه، ولعل هذه أعظم فضيلة للمحبّة في الله، فإن العبد إذا أحَبّه الله فاز في الدنيا والآخرة.

وإن من أسباب محبّة الله؛ المحبة في الله: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: "أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ[2] عَلَى مَدْرَجَتِهِ[3] مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟[4] قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ".[5]

فتأمّل! جازاه الله من جنس عمله، فأحبَّه الله بسبب حبه لأخيه في الله، فالمحبة في الله من أسباب محبة الله للعبد، ولذلك يُشرع للمسلم أنْ يخبر أخاه أنه يحبه في الله، ويُشرع لأخيه أن يقول: "أحبك الذي أحببتني له"[6] فيدعو له من جنس عمله، بل يدعو له بأحسن من عملِه؛ يدعو له بأن يحبه الله، وهذا دعاء عظيم جداً.

٥- الفضيلة الخامسة: أنّ الله يجمعك مع مَن تحب في الآخرة، فلا يُفرّق بينك وبين مَن أحببته فيه، وهذا ما دَلّ عليه حديث الترجمة، فقال ﷺ: "المَرء مع مَن أحبَّ".. ويفسره حديث أنس عند البخاري أنّ رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا».

1- الترمذي (٢٣٩٠) وأحمد (٢٢٠٦٤، ٢٢٠٨٠، ٢٢٧٨٢) وصححه الألباني.

2- فأرصَدَ اللهُ له ملكا: أي أقعَدَه الله ليرقبه.

3- على مدرجته: على طريقه.

4- تربُّها: تقوم بإصلاحها ورعايتها.

5- مسلم (٢٥٦٧)

6- سنن أبي داود (٥١٢٥) وأحمد (١٣٥٩٠، ١٣٥٣٥) والصحيحة (٣٢٥٣)

قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: «فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ»).[1]

هذا فهْمُ الصحابة للحديث، فالمراد أنّ الله يرفعه إلى منازل مَن أحبهم في الله، ولو قصَّر به عمله، هذا كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)﴾[2] فهذه الآيات صريحة أن هذا تفَضُّلٌ من الله على عباده لقوله: ﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ فمِن فضلِه أنه أعطاهم مالا تبلغه أعمالهم، ولذلك قال: ﴿أُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ ولم يقل "من الذين"، لأنهم لو كانوا منهم للزم أن يعملوا بعملهم، ولكن قال ﴿مَعَ الَّذِينَ﴾، أي معهم في المنزلة والفضل ولو لم يكونوا منهم في العمل(*)

(*) تفسير الطبري:

- (١/ ١٧٧) عند تفسير قوله ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

- (٧/ ٢١٣)، (٧/ ٢١٦):"يَقُولُ ذَلِكَ عَطَاءُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ وَفَضْلُهُ عَلَيْهِمْ، لَا بِاسْتِيجَابِهِمْ ذَلِكَ لِسَابِقَةٍ سَبَقَتْ لَهُمْ" من تفسيره.

- (١٢/ ٦٧) عند تفسير آية التوبة (١١٩).

ولكن يشترط لهذا الفضل شرطٌ مهم وهو أن يشاركوهم في الطاعة وفي أصل العمل:

- لقوله تعالى في الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فهذا شرط، وجوابه {فأولئك...}، فيجب أن يكون الأدنى عملاً طائعاً لله في الأصل، وان يدخل الجنة، فترتفع درجته في الجنة مع من يحبه في الله.

1- أخرجه البخاري (٣٦٨٨).

2- [سورة النساء]

- وقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾[1]، أي يجتمعون في الجنة مع الأعلى منزلةً منهم، ولكن بشرط أن يكونوا صالحين، لقوله ﴿وَمَن صَلَحَ﴾، فهذه الفضيلة لمن دخل الجنة فقط، وليست لمن استحقّ دخول النار ودخلها.

- وأصرح من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[2].

والشاهد قوله: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ أي شارَكوهم في الإيمان، ودخلوا معهم الجنة، فيُرفع الأدنى منزلة إلى الأعلى منزلة، وهذا مقام الفضل، ثم ذكر مقام العدل وهو العذاب في النار فقال: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ وهم الكفار، الذين لا يدخلون الجنة، حتى لا يتوهّم أحدٌ أنّ الكافر يدخل الجنة مع والديه بحبه إياهم، لأنّ حبه أصلاً ليس لله، كيف يحبهم لله وهو عدوّ لله؟! وأيضاً حتى لا يتوهم متوهم أنّ الوالدين يدخلون النار مع أبنائهم الذين في النار، فقال: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيرها: (وهذا من تمام نعيم أهل الجنة، أن ألحَقَ الله بهم ذريتَهم الذين اتبعوهم بإيمان؛ أي الذين لحقوهم بالإيمان الصادر من آبائهم، فصارت الذريةُ تبعا لهم بالإيمان، ومن باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسِهم، فهؤلاء المذكورون، يُلحِقُهم الله بمنازل آبائهم في الجنة وإن لم يبلغوها، جزاء لآبائهم، وزيادة في ثوابهم، ومع ذلك لا يُنقِص اللهُ الآباء من أعمالهم شيئا، ولما كان ربما توهم متوهم أن أهل النار كذلك يُلحِقُ الله بهم أبناءَهم وذريتَهم، أخبر أنه ليس حكمُ الدارين حكما واحدا، فإن النار دارُ العدل، ومن عدله تعالى أن لا يُعذبَ أحدا إلا بذنب، ولهذا قال: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مُرتَهَن بعمله، فلا تزرُ وازرة وزر أخرى، ولا يُحمل على أحد ذنبُ أحد). انتهى.

1- [الرعد: ٢٣]

2- [الطور: ٢١]

قال الحافظ ابن رجب:

(فإنّ المرءَ مَعَ مَن أحَبّ، ولا بدّ من مشاركته في أصل عمله وان قصّر المحِب عن درجته. قال الحسن لا تغتر بقولك: المرء مَعَ مَن أحَبّ، إن مَن أحَبّ قوما اتبع آثارهم، ولن تلحقَ الأبرارَ حتى تتبعَ آثارَهم، وتأخذَ بهديهم، وتقتديَ بسنتهم، وتمسيَ وتصبحَ وأنت على مناهجهم، حريصاً أن تكون منهم، وتسلكَ سبيلَهم، وتأخذَ طريقَتَهم وإن كنت مقصّراً في العمل. فإن ملاكَ الأمر أن تكونَ على استقامة. أما رأيت اليهودَ والنصارى وأهلَ الأهواء الرّديّة يحبّون أنبياءَهم وليسوا معهم لأنهم خالفوهم في القول والعمل وسلكوا غير طريقِهم فصار موردهم النارَ؟ نعوذ بالله من النار) انتهى[1].

والمرادُ: أنّ المحبة الصادقة يُشترطُ لها اتّباعُ المحبوب والتّشبُّهُ به، والاقتداءُ به إن كان أهلاً للاقتداء، كالنبي ﷺ والصحابة وأهل العلم والصالحين..

فهذا الحديثُ ونظائرُهُ فيه عددٌ من الفوائد، منها:

١- الحثُّ على المَحَبَّة في الله، فإنها مِن أحسن الأعمال، وأولى الناس بهذه المَحبَّة: (مَحبَّة الرُّسُل واتِّباعُهم بحسب مراتبهم، والتحذيرُ من مَحبَّة ضدهم) "**بهجة قلوب الأبرار**" للسعدي.

٢- وفيه أنّ الله يمُنّ عل قليل العمل باللّحاق بمنزلة مَن يحبهم الأكثرين عملاً.

ولكن يُشترَط لهذا شرطان:

- الأول: أنْ يحبه لله، لا لشيء آخر.
- الثاني: أن يشاركه في الإيمان والصلاح ويدخل الجنة.

٣- وفي الحديث إشارة إلى فضل صُحبة الأخيار والصالحين عموماً، وتَقَدَّم شرحُ هذا الموضوع بالتفصيل في الحديث (٦٨) من هذا الكتاب المبارَك.

1- "الحِكَم الجديرة بالإذاعة" لابن رجب الحنبلي (١/ ٤٨).

٤- وفي الحديث فضلُ محبة الله من باب أولى: أي إذا كانت هذه الفضائل العظيمة لمن أحَبّ في الله؛ فما بالكم بمن أحَبّ الله، وأخلَص في محبته - أي أفرَد اللهَ بالمحبة - فلا ريب أن هذه منزلةٌ عالية، وهي منزلة الخُلَّة التي وصلها الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وكلما قدَّم العبدُ محبة الله على مَحابِّه، كلما ارتقى في هذا المضمار العظيم، فإنّ محبة الله، والمحبة في الله من أعظم خصال التوحيد، التي يقوم عليها التوحيد، بالإضافة إلى خصلة الخوف من الله.

لابدّ من الجمع بين الخوف والمحبة، الخوف والرجاء، كما تقدم في صدر المجلس.

اللهم ارزقنا خشيتك ومحبتك، ومحبة من يحبك.. آمين.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك.

أسئلة الدرس الثالث والثلاثين

السؤال الأول: صلة الأرحام:

أ - كلها واجبة. ب- كلها مستحبة. ج- بعضها واجب وبعضها مستحب تبعا للعرف. د- جميع ما ذكر.

الجواب: (ج).

السؤال الثاني: ما معنى صلة الأرحام؟

أ- الإحسان إليهم بحسب الاستطاعة.

ب- ألا يقاطعهم. ج- ألا يظلمهم.

د- جميع ما ذكر.

الجواب: (د).

السؤال الثالث: دل الدليل على أن من أسباب زيادة الرزق والعمر صلة الأرحام:-

أ- فيجوز أن يقدم الواصل هذه النية على نية الآخرة.

ب- يجوز أن يسوي بين النيتين.

ج- يجب تقديم نية الآخرة وإلا فسد العمل.

د جميع ما ذكر.

الجواب: (ج).

السؤال الرابع: الأرحام الواجب صلتهم هن الإناث من الأقارب فقط. (خطأ).

السؤال الخامس: الأرحام الواجب صلتهم هم الأقارب من جهة الوالدين ذكورا وإناثا. (صح).

السؤال السادس: المقصود بالمحبة في قوله عليه الصلاة والسلام «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»:

أ- المحبة الجبلية؛ كمحبة الأولاد والزوجات.

ب - المحبة في الله.

ج - المحبة الجبلية والمحبة في الله.

د - أن من أحب العصاة يحشر معهم.

الجواب: (ب).

السؤال السابع: تعريف شرك المحبة الأكبر هو:

أ- أن تتخذ لله ندا في المحبة تحبه كما تحب الله أو أكثر.

ب- أن تقدم محبة المال والولد على ما يحبه الله.

ج- جميع ما ذكر.

د- لا شيء مما ذكر.

الجواب: (أ).

◆ تنبيه: والفرق بين الشرك الأكبر في المحبة؛ والأصغر: هو أن الأكبر إعتقادي؛ أي يعتقد أن الند مساوي لله في المحبة، أما الأصغر فلا يعتقد ذلك.

السؤال الثامن: ما هي المحبة التعبدية الشرعية؟

الجواب: هي محبة الله والمحبة في الله.

السؤال التاسع: من أولى الناس بالمحبة في الله؟

الجواب: هو رسول الله ﷺ، ثم سائر الرسل، ثم الصحابة، ثم سائر الصالحين.

السؤال العاشر: ما معنى المحبة في الله؟

أ- أن تحب المرء لأنه يحب الله ويطيعه ويتولاه.

ب- أن تحب المرء لأنه ينفعك في أمور الدنيا.

ج- أن تحب المرء لكثرة ماله وجاهه وسلطانه.

د- جميع ما ذكر.

الجواب (أ).

السؤال الحادي عشر: اذكر أهم ثلاثة فضائل من فضائل المحبة في الله. مع الإشارة إلى الدليل.

الجواب:

- **الفضيلة الأولى**: أن الله يحب المتحابين فيه.

  لحديث الرجل الذي بشره الملك أن الله يحبه لما زار أخاه في الله.

- **الفضيلة الثانية**: أن الله يظل المتحابين فيه في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

  لحديث سبعة يظلهم الله في ظله.

- **الفضيلة الثالثة**: أن الله يرفع منزلة الأدنى إلى منزلة الأعلى في الجنة.

  لحديث "**المرء مع من أحب** "

❁ ... والحمد لله رب العالمين... ❁

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁